[م] وعن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة[1] رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأرْضِ، يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ» مُتفقٌ عليه -هذا لفظ البخاري-.

[ش] <u>معاني الكلمات...</u>

- أم المؤمنين[2]: لقب يُطلق على زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم -وهنّ أمهات للمؤمنين في الاحترام والتعظيم وحرمة النكاح (دون النظر والخلوة).

- يغزو: يقصد. **- جيش:** الجند، وهم جماعة الناس في الحرب (وهذا الجيش اللهُ أعلم به وبزمانه)

- الكعبة: بيت الله الحرام[3]. **- البيداء:** الأرض الملساء، أو الصحراء التي لا شيء فيها.

- يُخسفُ: تغور بهم الأرض. **- أسواقهم:** أهل أسواقهم الذين يبيعون ويشترون ولم يقصدوا الغزو.

- يبعثون: يبعثهم اللهُ يوم القيامة. **- على نياتهم:** يحاسب كل منهم بحسب قصده.

<u>المعنى الإجمالي ...</u>

يُخبرنا النبيُ – صلى الله عليه وسلم – أنّ في آخر الزمان سيقصدُ الكعبةُ جيشٌ عظيمٌ يُريدُ أن يُخربَها، فبينما هم في طريقهم يقصدون البيت يمرون على مفازةٍ واسعة وصحراءٍ لا شيء فيها فإذا استوعبتهم أتاهم أمرُ الله تعالى فَيَخسِفُ بهمُ الأرض جميعاً (تغورُ بهم وتبتلعهم) لا تترك منهم أحداً[4]، فاستوقف هذا أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها – فسئلت كيف يخسفُ بهم وليسوا كلهم من المقاتلة؟ بل الحال أنّ فيهم أهل الأسواق الذين خرجوا للربح والتجارة والبيع في هذا الجيش، وفيهم المجبور المُكره، وفيهم ابن السبيل الذي جمعه معهم صُحبة الطريق، وفيهم المُستبصر المُعاند الذي خرج لغزو البيت (كما ثبت ذلك في زيادةٍ عند مسلم)[5]، فبيّنَ النبيُ أنهم يهلكون مهلكاً واحداً ثُمّ يُبعثون على نياتهم (فيكون ما سألت عنه أم المؤمنين رضي الله عنها) من التفرقة التي اقتضها حكمة الله وعدله سبحانه وبحمده.

<u>مناسبة الحديثُ لترجمة الباب...</u>

ووجه الاستدلال منه هنا أن للنيّة تأثيراً في العمل لاقتضاء الخبر أنّ في الجيش المذكور المُكره والمُختار فإنهم إذا بعثوا على نيَّاتهم وقعت المؤاخذة على المُختار دونَ المُكره.

---

[1] كنَّاها النبيُ بابن أختها أسماء «عبد ابن الزبير» وقيل بسقطٍ لها منه واستُبعد، وهي (عائشة) الصديقة بنت أبي بكر الصديق عبد ابن أبي قحافة عثمان (رضي الله عنها) وعن أبيها وجدها، تزوّجها بمكة وهي بنت ست سنين، بعد تزوّجه بسودة بشهر، وقبل الهجرة بثلاث سنين ودخل بها في شوّال في السنة الثانية من الهجرة، وهي بنت تسع سنين، وتوفي وهي بنت ثمان عشرة سنة، وعاشت بعده أربعين سنة، وتوفيت سنة سبع أو ثمان وخمسين لثلاث عشرة بقيت من رمضان بعد الوتر، وصلى عليها أبو هريرة لإمارته على المدينة حينئذٍ من قبل مروان بن الحكم، رويَّ عنها 2110 حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، اتفق فيها الشيخان على 174 حديث ، وانفرد البخاري بـ 64 حديث، ومسلم بـ68 حديث.

[2] وقد ورد هذا اللقب في القرآن حيث جاء في سورة الأحزاب قول الله تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا}، ولنساء النبي صلى الله عليه وسلم فضل ومزية عن سائر نساء المسلمين كما قال تعالى: { يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا}.

[3] الكعبة بيتُ الله الحرام بنتها الملائكة وقيل آدم ورفع قواعدها إبراهيم عليه السلام لها أسماء عديدة منها (البيت، البيت الحرام، المسجد الحرام، البيت العتيق، القبلة) أراده أبرهة الأشرم الحبشي بسوء فأهلكه الله تعالى وجيشَهُ وأرسل عليهم جماعات متتابعة من الطير ترميهم بحجارة مُتحجرة فأهلكهم الله عز وجل وحمى البيت بقدرته، وفي هذا الحديث سيخسف اللهُ تعالى الأرض بهذا الجيش العظيم ويحمي بيته، ثم يُسلطُ على البيتِ (ذو السويقتين) الحبشي فينقض الكعبة حجراً حجراً كما ثبت ذلك في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُخَرِّبُ الكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الحَبَشَةِ» وقال أيضاً: «كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ، يَقْلَعُهَا حَجَرًا حَجَرًا» فإذا خرب البيت فهذا إذنٌ بخراب العالم لأنّ الله تعالى جعل بقاء الكعبة أمناً لحياة الناس وصلاحاً لدينهم كما قال تعالى: {جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ} فتقوم الساعة على شرار الخلق.... ويبقى سؤال كيف يُسلطُ الحبشة على البيت وأهله مسلمون وقد ردَّ اللهُ تعالى الحبشة عن البيت وكان أهله مشركون؟؟؟ قال الحافظ بن حجر رحمه الله : [وأجيب بأن ذلك محمول على أنه يقع في آخر الزمان قرب قيام الساعة حيث لا يبقى في الأرض أحد يقول الله الله كما ثبت في صحيح مسلم لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله، ولهذا وقع في رواية سعيد بن سمعان لا يعمر بعده أبدا وقد وقع قبل ذلك فيه من القتال وغزو أهل الشام له في زمن يزيد بن معاوية ثم من بعده في وقائع كثيرة من أعظمها وقعة القرامطة بعد الثلاثمائة فقتلوا من المسلمين في المطاف من لا يحصى كثرة وقلعوا الحجر الأسود فحولوه إلى بلادهم ثم أعادوه بعد مدة طويلة ثم غزى مرارا بعد ذلك وكل ذلك لا يعارض قوله تعالى أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا لأن ذلك إنما وقع بأيدي المسلمين فهو مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم ولن يستحل هذا البيت إلا أهله فوقع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وهو من علامات نبوته وليس في الآية ما يدل على استمرار الأمن المذكور فيها والله أعلم]اهـ الفتح (3/461).

[4] ثبت في رواية عند مسلم أنه يبقى منهم الشريد الذي يُخبرُ الناس بما نزل بهم من العقوبة برقم (2883).

[5] أخرجه مسلم برقم(2884).

الفوائد...

1. الدليل على أن الرسولَ صلى الله عليه وسلم يُخبر أمته عن بعض الغيبيات، وأنّه لا يعلمُ من الغيب إلا ما أطلعه الله تعالى عليه.
2. وجوب الإيمان بما أخبر به الصادق المصدوق من أمور الغيب **(وذلك من شروط صحة شهادة أنّ محمداً رسول الله)**.
3. التحذيرُ من مصاحبة أهل الظلم والفجور، والحثُ على مصاحبة الأخيار.
4. أنَ العقوبات إذا وقعت تعم الصالح والطالح[6] **(إلا من استبرأ لدينه فأمرَ بالمعروف ونهى عن المُنكر)**[7].
5. الإنسانُ يعاملُ بقصده من الخيرِ والشرِ.
6. عدالة الصحابة ودقتهم في نقل الأخبار وحُسن إنصاتهم للنبي صلى الله عليه وسلم في أخذهم العلمَ عنه.

[6] قال تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً}، وفي صحيح مسلم سُئِل الرسول صلى الله عليه وسلم: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ».

[7] قال تعالى: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} (الأعراف:165)، وقال العلامة السعدي في تفسير قوله تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} بل تصيب فاعل الظلم وغيره، وذلك إذا ظهر الظلم فلم يغير، فإن عقوبته تعم الفاعل وغيره، وتقوى هذه الفتنة بالنهي عن المنكر، وقمع أهل الشر والفساد، وأن لا يمكنوا من المعاصي والظلم مهما أمكن. اهـ تفسير السعدي ص (318).